بينيتو بيريث جالدوس

تحالف الكلمات

قصص

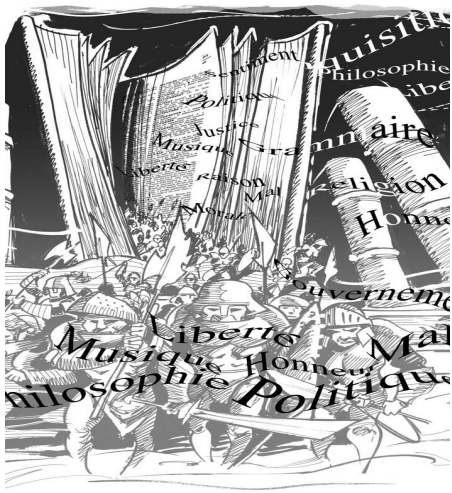

ترجمته

منار عبد المعز أحمد

ISIDORA
Ediciones

ISBN 978-84-941283-7-0
Depósito legal M-36585-2013
Composición:
Taller Isidora Ediciones
Printed* in Spain: *Safekat S.L
Diseño de cubierta: *Safekat S.L*
3 Rue de L'Ermitage 3- 79 510
Sanzay -Argenton les Vallés France
C/ Corte de Faraón 7 Bº D 28041
Directoras de la colección: Rosa Amor del Olmo y Manar Abd El Moez Ahmed
Traductora: Manar Abd El Moez Ahmed

isidoraedicionesoficial@gmail.com
www.isidora-internacional.com.es

¿Necesita utilizar un fragmento de esta obra? Diríjase a:
CEDRO

بينيتو بيريث جالدوس

تحالف الكلمات

قصص

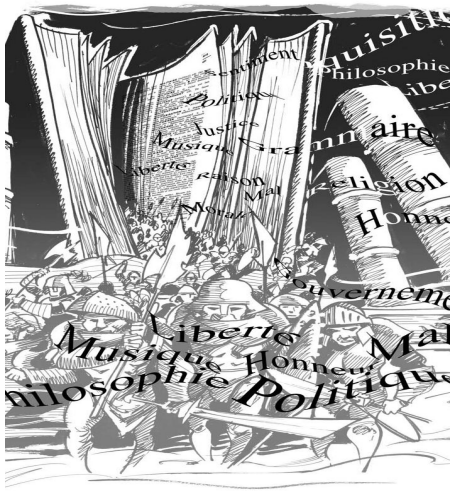

ترجمته

منار عبد المعز أحمد

ISIDORA
Ediciones

VERBE
ADVERBE
SUBSTANTIF
ADJECTIF
PRONOM
ARTICLE

تحالف الكلمات

كان فيما يحكي كان صرح كبير اسمه "قاموس اللغة الإسبانية" هائل الحجم بدرجة تفوق الوصف حتى أنه -والعهدة على المؤرخين- كان يشغل حوالي ربع طاولة من تلك الطاولات المنزلية متعددة الاستخدامات الموجودة في البيوت. وإذا اعتقدنا صحة ما ورد في وثيقة قديمة تم العثور عليها في خزانة مكتب عتيق، فإن هذا الصرح عند وضعه على أحد الأرفف هدده بالانهيار موقعاً كل ما عليه ومحدثاً أضراراً بالغة به.

تَكَوَّن هذا الصرح من سورين عريضين من ورق الكرتون السميك والمبطن بجلد العجل المُجَزَّع، وتزينت واجهته المصنوعة أيضاً من الجلد بلوحة عريضة موشاة بحروف ذهبية تصف للعالم وللأجيال القادمة اسم ومعنى هذا الصرح العظيم. وكان هذا التيه -الذي فاقت عظمته متاهة جزيرة كريت- مقسماً إلى ستمائة حائط من الأوراق المُرقَّمة والتي سميت "الصفحات". وكل حائط مقسم بدوره إلى ثلاثة ممرات أو صفوف متناهية الكبر تحتوي على خانات لا حصر لها يشغلها بالكامل الثمانمائة أو التسعمائة ألف *كائن* المقيمين في هذا المحيط الفسيح.

في يوم من الأيام دوى صخب شديد: أصوات، وقع أقدام، نداءات، صهيل خيل، كما لو أن الأمر تعلق بجيش جرار يصحو من نومه ويرتدي ملابسه سريعاً متهيئاً لمعركة عظيمة. والحق يقال كان الأمر فعلاً أشبه بالحرب. فبعد فترة قصيرة خرجت معظم الكلمات –إن لو تكن جميعها- من القاموس مدجَّجة بأسلحة براقة ومقسمة إلى كتائب كبيرة حتى كادت المكتبة الوطنية ألا تسعها.

كان مشهداً مهيباً ومدهشاً بتأكيد كتاب الأساطير والحكايات الشعبية المبطن بالرق، وهو شاهد العيان الذي راقب الحدث من خلال مخبئه القريب فوق رف من الأرفف.فقد تحرك الموكب حتى خرجت جميع الكلمات من المبنى. وسأجتهد في هذا الصدد أن أصف نظام وأبهة هذا الجيش معتمداً على وناقلاً بأمانة الرواية الأصلية والدقيقة لصديقي الكتاب.

في المقدمة أتت طلائع الجيش "أدوات التعريف والتنكير" بحللها الفخمة المصنوعة من الصلب الخالص. لم تكن معها أسلحة لكنها في المقابل كانت تحمل دروع سادتها "الأسماء" التي أتت خلفها بمسافة بسيطة.

كانت الأسماء لا حصر لها، وكانت وتتمتع بالرونق والرشاقة حتى أصبح النظر إليها متعة. بعضها كان يحمل أسلحة لامعة من المعادن الأكثر نقاءً وخوذات يعلوها الريش وأكاليل

الزهور. البعض الآخر كان يلبس دروعاً من جلد رقيق مطرز بالذهب والفضة. ومجموعة كانت تغطي أجسادها الأثواب الطويلة التي تشبه ملابس أعضاء مجلس الشيوخ في مدينة فينسيا، وكانت تمتطي الخيول القوية المزينة ببذخ. ومجموعة أسماء أخرى أقل شأناً، منها من كان يسير على قدميه، ومنها -وهذا عدد ليس بهَيِّن- من طمسته تماماً أناقة ولمعان الأسماء البراقة، فقد كانت فقيرة ومتواضعة الثياب.

ثم أتت "الضمائر" مصاحبةً لسادتها الأسماء. فكانت إما في المقدمة، قابضة على لجام خيولها، أو في المؤخرة، حاملة أذيال أثوابها، أو كانت ترشدها وتدعم أجسادها الضعيفة. فيجب الإشارة

إلى أن بعض الأسماء كانت عليلة وهرمة ، بل ومشرفة على الموت. ومن ناحية أخرى حلت ضمائر غير قليلة محل سادتها الأسماء -التي لازمت الفراش مرضاً أو كسلاً-، ونسبت هذه الضمائر لنفسها مكانة الأسماء ومرتبتها العالية. وبطبيعة الحال كان هناك ضمائر من الجنسين، وامتطت المؤنثة منها كذلك الخيول واستعرضت أسلحتها بنفس مهارة وجرأة الضمائر المذكرة.

ثم جاءت "الصفات" مترجلات جميعها، وكانت بمثابة الخادم أو التابع الذي يحمل السلاح للأسماء ويلبي أوامرها. وكان من المعروف أن أي فارس "اسم" لم يكن ليفعل شيئاً ذا قيمة دون مساعدة وصيف ماهر من عائلة نبيلة مثل "الصفة". إلا أن هذا الوصيف -وبالرغم من أهميته لسيده- كان عديمة الأهمية ومآله الهلاك إذا ما جاء بمفرده.

أتت الصفات -بأشكالها الثابتة والمحددة- بثياب لامعة بهيجة الألوان وبزينة مفرطة، وكانت ما إن تقترب من سيدها الاسم إلا وتمنحه شكلها هيئتها الخارجية دون أن تمس جوهره.

ثم تلتها -على بعد حوالي عشرة بارت[1]- السادة "الأفعال" وكانت غاية في الغرابة والروعة. لم يكن من الممكن تحديد نوعهاً أو قياس طولها أو رسم ملامحها أو إحصاء سنوات عمرها أو وصفها بدقة. يكفي قولاً أنها كانت تُكثر من الحركة في كل الاتجاهات: فما إن تتراجع للخلف حتى تتقدم للأمام، والبعض منها

[1]اسم مقياس طول يساوي 0.835 مم.

كان يسير في تشكيلات ثنائية. على كل حال من المؤكد -حسب شهادة صديقي كتاب الأساطير والحكايات الشعبية- أنه بدون هذه الشخصيات كان من المستحيل القيام بأي عمل ناجز في هذه الجمهورية. فرغم الفائدة الواضحة للأسماء إلا أنها لم تكن إلا أدوات عمياء تنتظر أن يقودها السيد "فعل".

خلف الأفعال جاء "الظرف" على هيئة مساعد طباخ، فوظيفته تحضير الطعام وخدمة الأفعال في شتى الأمور. ومن المعروف أن الظرف من سلالة "الصفات"، وهو ما أكدته رقائق الأنساب المغرقة في القِدَم. لذا فأحياناً تَنوب الصفة عن الظرف لتَشغَل وظيفته، فيكفي فقط أن تتم إطالة ثوبها بذيل يُسمىmente [2].

[2]مضاف للصفات في الإسبانية يُكسِبها وظيفة الظرف.

ثم جاءت حروف "الجر" القِزمة ذات الحركة الآلية التي تجعلها قريبة الشبه بالأشياء، فذهبت بجانب الأسماء لتقوم بتوصيل رسالة إليها من فعل ما، أو لتجلب رسالة منها إليها.

أما عن "أدوات الربط" فكانت تسير في كل الاتجاهات محدثةً صخب شديد خاصة "أن"، إذ كانت العدو ذاته للجميع كما أنها سبب الفتنة الرئيسي بين السيد "اسم" والسيد "فعل" فهي تتوسطهما، وبهذا كانت تفسد العلاقة بينهما عندما كانت تشوه ما يقوله الفعل تشويهاً فجاً.

وفي المؤخرة أتت "حروف التعجب" التي لم يكن لها جسد بل فقط رأس بفم كبير مفتوح دائماً. وكانت مسالمة ولا تتدخل في شئون الآخرين. ورغم قلة عددها فإنها كانت تدير شئونها بنفسها مُثبتةً في ذلك جدارة وبراعة عاليين.

بعض هذه الكلمات كانت ذات أصل نبيل -يُبرهن على ذلك الدروع التي كانت تحملها والتي تؤكد أصلها اللاتيني أو العربي. وكلمات أخرى -حديثة أو عامية- لم يكن لها أصل تفتخر به مما جعل الكلمات الأصيلة تحتقرها وتزدريها. ومجموعة ثالثة من الكلمات كانت وافدة من فرنسا وتنتظر التصريح بالحصول على الجنسية الإسبانية. وأخرى -في المقابل- عفا عليها الزمان حتى لم تستطع أن تنصب قامتها من الهرم، فرقدت منعزلة في ركن من الأركان، ومع ذلك كانت الكلمات الأخرى تحترم تجاعيد شيخوختها. ومجموعة أخرى من الكلمات كانت غاية في العجرفة والغرور فاحتقرت الباقين واصرت على النظر إليهم في غطرسة.

وصلت جميع الكلمات إلى *ميدان الرَّف* واحتلته من أقصاه إلى أقصاه.

استعان فعل الكينونة بعلامَتَيْ التعجب وبعض الفصْلات المتجولة في المنطقة لإقامة ما يشبه المنصة وصعد إليها عازماً التحدث بإسهاب دون رابط، لكن الاسم المشاغب والثرثار "*إنسان*" انتزع منه الكلمة بعد صعوده على أكتاف مساعِدَتَيْه الصفتين الجذابتين "*عاقل*" و"حر" ، وقام بتحية الجموع رافعاً ال"إ" الذي كان بمثابة القبعة على الرأس. ثم بدأ الحديث بهذه الكلمات أو بما شابهها:

—أيها السادة، لقد أثارت حفيظتنا جرأة الكُتاب الإسبان، فلم يكفهم أن سمحوا بتسلل كلمات فرنسية إلى كتبهم مما سبب ضرراً كبيراً بالثروة القومية ، ولكنهم أيضاً عندما يحلو لهم أن يستخدمونا يقومون بالتغيير في معانينا ويجعلونا نقول عكس ما نرغب في التعبير عنه، ولهذا يجب أن يلاقوا منا العقاب.

(أحسنت أحسنت)

—إن أصلنا اللاتيني النبيل لم يشفع لنا عندهم كي يولوا لنا بعض الاحترام، بل شوهونا بطريقة مؤلمة ومنفرة، ولهذا أرجو أن تعذروني إذا لم أتمكن من السيطرة على مشاعري وفاضت عيناي بالدموع .

(تصفيق حاد).

ثم كفكف الخطيب دموعه بطرف الـ " *ن*" الذي كان يمثل جزءاً من ثوبه.

وعندما هَمَّ "*الإنسان*" بمتابعة خطابه شتتت أفكاره مشاجرة ليست ببعيدة عن مكان التجمع، وكانت بين الاسم " *معنى*" والصفة " *شائع*"، حيث كان الأول يكيل للثانية اللكمات قائلاً لها :

—أيتها الكلبة الخسيسة القذرة، بسببك أتعرض للمضايقة والمطاردة، فما إن يجهل كاتب شيء بسيط في علم ما إلا ويحتمي بكلمَتَيْ "*معنى شائع*" ويبدأ في الاعتقاد أنه أكثر

الرجال حكمة على وجه الأرض، ارحلي من هنا أيتها الصفة المشئومة البغيضة، ابتعدي عني وإلا قسَماً لقضيتُ عليكِ.

وما إن قال هذا الكلام حتى أمسك الاسم "*معنى*" بالـ "*ى*" وضرب بها تابعته الصفة "*شائع*" حتى تركها في حالة يرثى لها لدرجة اضطرار الجمع المحيط بهما وضع عُصابة حول الـ " *ش*" منها وتضميد ضلوعها عند الـ "ع" حيث كانت تنزف بشدة.

— كفى أيها السادة—، قالها اسم مؤنث يدعى "*فلسفة* " ظهر من بين الحشد ملفوفاً بخمار أنثوي أبيض .

ولكن ما إن رأت كلمة "*موسيقى*" الـ " *فلسفة*" حتى انقضت عليها وراحت تشد شعرها وتركلها مُدندنةً:

—يالكِ من خسيسة حمقاء مجنونة ، إنك تريدين تقييدي بحرف جر مُدَّعية أنني أمتلك فلسفة، لا يا عزيزتي، أنا فقط موسيقى، اتركيني وشأني.

— ابتعدي عني يا صاخبة -أردفت "*الفلسفة*" عندما كانت تهم بنزع الضمّة من على حرف الـ " م" التي كانت الموسيقى تتباهى بها- ابتعدي فلا نفع منك سوى تلهية الصغار.

—الهدوء يا سادة -صرخ اسم طويل، رفيع، ضعيف ونصف عليل يدعى "*عاطفة*"- فلتَكُفّي يا سيدة "*فلسفة*" عن قول

هذه الأشياء لأختي "*موسيقى*" وإلا فسيكون عليكِ مواجهتي أنا. فاهدئي إذاً ولتتمالكي أعصابك ولا ترمي الآخرين بالحجارة إذا كان بيتك من زجاج.

— يا للبلاهة -ردد "*العقل*" الذي كان مارّاً بملابسه الداخلية وشعره الأشعث- كيف سيكون حال هؤلاء التافهين بدوني، كفى شجاراً وليلتزم كل كائن من كان بموقعه وإلا...

— يجب ألا يستمر الأمر على هذا الحال –صاح الاسم " *شر*"، يجب أن أتدخل في كل شيء.

— وما دخلك أنت أيها "*الشر*" في هذا ؟ فلتذهب إلى الجحيم فلا مكان لك بيننا في هذا العالم.

— لا يا سادتي ، احذروني، فبعد أن كنت خائر القُوى ، بدأت حالتي في التحسن وقَويَت شوكتي منذ أن استعنت بهذا التابع– ثم أشار "*الشر*" إلى تابعتين له: الكلمات "*لابد منه*"–.

— أبعدوها عني وإلا قتلتها –صرخ "*الدين*" الذي أتى مقيداً مع " *السياسة*"– أبعدوا عني تلك التي استغلت اسمي لتخفي مطامعها ومكائدها.

— كفى، نظام يا سادة –قالها الاسم "*حكومة*" الذي حضر ليحل المشكلة .

— اتركيهم يا عزيزتي يمزقون بعضهم بعضاً –عقَّبت "*العدالة*"– اتركيهم، فأنتِ تعرفين جيداً أنهم دائمي الشجار. فلنحاول نحن ألا نكون مثلهم.

وأثناء ذلك، حضر "*شرف*": اسم رشيق بأسلحة براقة ودرع به زخارف نادرة وشعار من الذهب والفضة، وقد جاء يشكي حماقات عديدة يرتكبها البشر باسمه فيجعلونه يعبر عما يناسب أهوائهم ويلصقون به من الصفات ما يحلوا لهم .

لكن الاسم "*أخلاق*" الذي كان في ركن يُضَمِّد الـ "ق" -حيث كسرت في الاشتباك الأخير- حضر ليجذب انتباه الجميع ، فقد تذمر من أن بعض الصفات الدخيلة تطاولت عليه، وختم كلامه قائلاً إنه يُفضل أن يعيش وحيداً على أن يعاني من صحبة مزعجة.

ضحكت من كلامه أسماء كثيرة اعتادت ألا تأتي إلا ومعها ست صفات على الأقل لخدمتها.

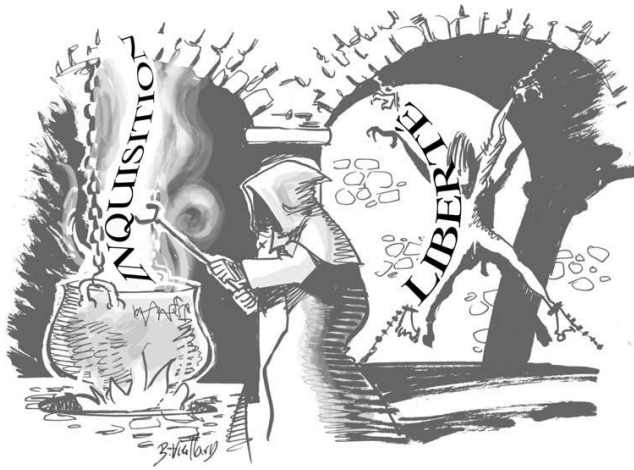

في تلك الآونة أضرمت "*محاكم التفتيش*" -تلك عجوز التي لا تستطيع أن تقيم طولها- النار في محرقة صنعتها بعلامة استفهام مستهلكة وأقواس مكسورة، وقد أشيع أنها أرادت إحراق "*الحرية*" التي كانت تمشي ضاربة الأرض بكعبيها في رشاقة وجرأة .

ومن ناحية أخرى كان الفعل " *قتل*" يصرخ قائلاً من آن لآخر وهو يغلق قبضته من الغضب :

— احذروا أن يتم تصريفي.

وما إن سمع الاسم " *سلام*" ذلك إلا وأتى راكضاً بسرعة حتى تَعَثَّر في الـ " م" التي كان ينتعلها كحذاء وسقط مُحدثاً دوياً كبيراً.

— إني قادم -صرخ الاسم " *فن*" الذي اتخذ مهنة صانع أحذية- إني قادم لأصلح هذا الحذاء، فذلك من ضمن اختصاصاتي.

وببعض الفصلات استطاع أن يُثَبِّت الـ "م" في "*سلام*" الذي رحل طائراً ليقوم ببعض الحركات الاستعراضية أمام من أشيع أنه يحبه بجنون: الاسم "مدفع" .

وعندما لم يستطع فعل " *الكينونة*" أو الاسم " *إنسان*" أو الصفة "*عاقل*" أن يفرضوا النظام بين هؤلاء الأشخاص، أيقنوا أنهم سيُهزمون في المعركة غير المتكافئة ضد الكُتاب الإسبان ، فقرروا العودة إلى المنزل وأمروا أن تدخل كل كلمة في الخانة المخصصة لها، وهو ما حدث بالفعل رغم صعوبة السيطرة على بعض الكلمات المُعربدة التي عكفت على إثارة الفتن ونشر الرعب .

نتج عن هذا التزاحم جرحى كُثُر مازالوا في "مستشفى الدم" أي صفحة التصويبات. وقررت الكلمات التجمع مرة أخرى لدراسة الوسائل المناسبة لفرض رأيها على أهل الأدب، وهي في الوقت الحالي تقوم بتحرير الآليات التي ستُنظم المناقشات بين الطرفين. وبذلك لم يسفر الانقلاب عن نتائج لأن المتحالفين ضيعوا الوقت في مناقشات عقيمة ونزاعات شخصية بدلاً من

التآزر لمحاربة العدو المشترك، وهكذا انتهت القصة من حيث بدأت.

أكد لي كتاب "*الأساطير والحكايات الشعبية*" أن كتاب "*النحو*" أرسل للـ "*قاموس*" مبعوثَيْن يحملان معهما مختلف أنواع وأرقام وحالات لعل مشاكل اللغة الإسبانية تُحل بدون سفك دماء.

مدريد ، إبريل 1868